كلمةٌ من القلب
في ذكرى الأربعين لرقاد
الأب الإيكونوموس انطوان ميشال ملكي

بول أنطوان ملكي وإيلي سمعان رزوق

باسم عائلة الأب أنطوان ملكي المغبوط الذكر وأولاده الروحيّين وأولاد رعيّة القدّيس سيسوي الكبير.

أبدأُ، يا إخوةُ، كلمتي بقولٍ للقدّيس إيرينايوس أسقف ليون، كان يردِّدُهُ المتروبوليت المثلثُ الرحماتِ أنتوني بلوم – وهو أحدُ كبارِ الآباء المعاصرين –: "إنَّ عظمةَ اللهِ هي الإنسانُ الحيُّ بالكلّيّة".

أبونا طوني، أبي، تجسيدٌ حيٌّ لهذه الكلماتِ المُلهَمَةِ من الروحِ القدس. فقدْ كانَ بالفعلِ إنسانًا حيًّا بالكلّيّة.

عاش أبونا، من دونِ تردُّدٍ، من دونِ خوفٍ، واضعًا ملءَ فكرِهِ وإرادتِهِ وقلبِهِ وصلاتِهِ في كلِّ تشعُّبات حياتِهِ الأرضيّة، جاعِلًا إيّاها تتقاطعُ في دربٍ واحدةٍ غايتُها الوحيدة الربُّ يسوع. فحصلَ بذلكَ بين الكهنةِ الأحرص والأكثرَ أمانةً، وبين الآباءِ الروحيّينَ الأكثرَ محبّةً، وبين الأساتذةِ والباحثينَ، المُحرِّكَ الأوّل، وبين الرجالِ الأكثرَ شجاعةً، وبين الأبناءِ الأوفى، وبين الإخوةِ الأحنّ، وبين الأزواجِ الأكثرَ حبًّا وبين الوالدينَ... أفضلَ أبٍ.

صائرًا كبولسَ العظيم، "كُلًّا للكلِّ ليُخلّصَ الكلّ" (١ كور ٩:٢٢)، كان يعيشُ، ويعمَلُ، ويعلّمُ، ويصلّي، ويتنسّكُ، ويخدمُ، ويتنفّسُ، لا لشيءٍ دنيويٍّ البتّة، بلْ لمجدِ اللهِ وخلاصِ

الإنسان. فأضحى إناءً نقيًّا للروح القدس، يدفقُ من خلالِه الثالوثُ القدّوس النِّعمَ، والشفاءَ الجسديَّ والروحيَّ، والتعزيةَ، والتشديدَ، لكلّ من قصَدَ الكنيسةَ طالبًا صلاتَه.

أبونا طوني... لم يكتفِ فقطْ بأنْ يعطيَ كلَّ ما لديه في كلِّ ما عملَ وعلَّمَ، بل كان دائمًا، ولكلٍّ منّا نحن أبناءه الروحيّين، حجرَ الزاويةِ الذي عليه تتكسَّرُ ميولُنا إلى الكسلِ والضعفِ والتقصير، وصوتَ الضمير الذي يحثُّنا على إعطاءِ الأفضلِ والوصول إلى الأعظم روحيًّا.

ففي كلّ عملٍ قامَ به، وكلِّ إرشادٍ روحيٍّ ألْقمَنا إيّاه، وكلِّ نصيحةٍ أعطاناها، كانَ يسألُنا باسِمًا: "وإن لم يكنْ هدفُ حياتِكَ القداسة، فلماذا تضيّعُ وقتَك؟"، ليصبِحَ سؤالُه هذا مسموعًا أبدًا بصوتِهِ الرزينِ والحنونِ في آنٍ، يتردَّدُ في مسامِعِنا وفي قلوبِنا، داعيًا إيّانا إلى التوبة والقداسة كلَّ حينٍ، كصوتِ السابقِ الصارخِ في البرّيّةِ، إلى منتهى الدهور.

لا وبلْ أصبحَ أبونا طوني حجرَ الزاويةِ لأنطاكيةَ بأسرِها، عليهِ تكسَّرَ الفكرُ المعوَجُّ لكثيرين، وبنى آخرونَ عليه بيوتَ إيمانِهم الصلبة.

فأبونا طوني لم يقبلْ قطُّ أن يبتعدَ، ولا بحَرفٍ واحدٍ، عن تعاليمِ الكنيسةِ الحقّةِ التي تسلَّمناها في تقليدِنا الكنسيّ من آبائِنا القدّيسينَ عبرَ العصور... حتّى أنّه كلّما اصطدمَ بفجوةٍ في التقليد الأنطاكيّ، ناتجةٍ منْ سوءِ ترجمةٍ أو من عَدَمِها، كان يعود إلى كتابات الآباء لترجمة تعاليمِهم ونشرِها، مؤمِنًا بالفعلِ بأنَّ لا حياةَ حقَّة، ولا فضائلَ مكتمِلَةً، ولا محبّةً كاملةً، ولا قداسةً فعليّةً، إلّا تلكَ التي تتمُّ بالإيمانِ الصحيحِ بربّنا يسوعَ المسيح.

أبونا طوني، هذا الرجلُ الذي أُعطِيَ وزناتٍ كثيرةً، وعانى كثيرًا، وصبَرَ كثيرًا، وأحبَّ كثيرًا، كثَّرَ هذه الوزنات في زمانٍ ومكانٍ صَعُبَتْ فيهما تجارةُ الصالحات. هذا الكاهنُ "الحيُّ بالكلّيّة"، أظهرَهُ الربُّ مستحِقًّا لكلماتِه التي نقلَها إلينا الرسولُ الإنجيليُّ متّى: "وأمّا مَن عمِلَ وعلَّمَ، فهذا يُدعى عظيمًا في ملكوتِ السماوات" (متّى ٥:١٩). فأقول إذًا بإيمانٍ، بصوتي وصوتِ أبنائِه الروحيّينَ وكلِّ أبناءِ رعيّةِ القدّيسِ سيسوي: اِسترحْ في العَظَمَةِ يا أبونا، واذكرنا أمامَ

عرشِ الآب، فلقاؤنا ليس ببعيدٍ، إذ قالَ الربُّ: "نعم إنّي آتي سريعًا". آمين. تعال سريعًا أيّها الربُّ يسوع" (رؤ ٢٢:٢٠).

المسيح قام!

عفصديق، الكورة، لبنان
السبت في ١٣ تموز ٢٠٢٤
عيد جامع لرئيس الملائكة جبرائيل
عيد القديس استفانوس الذي من دير القديس سابا